

العقيدة 11 القدرة السمع البصر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علمًا، أما بعد.

أيها الإخوة الأكارم كنا نتحدث في الدرس السابق عن صفة الإرادة، وذكرنا معناها، وتكلمنا عن دليلها بإجمال. ثم اليوم نتحدث عن صفة القدرة. فعرّفها بقوله تفضل. يقول المصنف رحمه الله ونفعنا الله بعلوم شيخنا: مبحث صفة القدرة، والثالث من صفات المعاني قدرة، وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يوجد بها، ويعدم ما شاء من الممكنات أي الجائزات نعم كبقية الصفات.

حاول المصنف أن يعرفها تعريفاً تقريبياً، وصفة القدرة هي صفة قديمة، كما قلنا، ليست بحادثة وآ قديمة قائمة بذاته تعالى، يوجد بها أو يقال، أو يقولون: يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة. فصفة القدرة تتعلق بكل الممكنات.

لتمثالها، فالله عز وجل أوجد العالم وأوجدنا، وأوجد صفاتنا، وأوجد هذه الكواكب، وأوجد الجمادات، فالقدرة متعلقة بكل هذه الممكنات، يتأتى بها إيجاد كل ممكن، وإعدامه، كذلك يعدمها سبحانه وتعالى. فصفة القدرة صفة تأثير في الإيجاد، أي في الخلق والإعدام. وصفة الإرادة صفة تأثير في التخصيص، أي ترجيح الممكن ببعض ما يجوز عليه، وصفة القدرة مترتبة على صفة الإرادة، لأن الله عز وجل فاعل بالاختيار، وفاعل لما يريد، كما قال: يوجد بها، ويعدم ما شاء من الممكنات أي الجائزات.

ثم ذكر الدليل على صفة القدرة لله تعالى، وهي كذلك صفة. الدليل على صفة الإرادة، فلو لم يكن قادراً سبحانه وتعالى لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وجد هذا العالم، لكن هذا العالم موجود، فثبتت له القدرة سبحانه وتعالى. تفضل، والدليل على وجوبها له جل شأنه، أنه لو لم يكن قادراً، بأن كان عاجزاً، لم يوجد شيء من العالم.

ثم ذكر صيغتي السمع والبصر، فقال تفضل: مبحث صفتي البصر والسمع، والرابعة والخامسة من صفات المعاني بصر وسمع، وهما صفتان قديمتان قائمتان بذاته تعالى، زائدتان على العلم، ينكشف بهما كل موجود ويتضح من غير سبق خفاء. نعم، كذلك صفتي السمع والبصر هما صفتان قديمتان قائمتان بذات الله تبارك وتعالى، وزائدتان على صفة العلم، وصفة السمع تتعلق بالمسموعات، وصفة البصر تتعلق بالمبصرات، ينكشف بهما كل موجود من باب الانكشاف ومن باب الاتضاح، ليس مع سبق خفاء، فإن الله عز وجل يسمع ويرى ويعلم خائنة الأعين من غير سبق خفاء جل وعلا.

ولا بد أن ننبه على أمر، أن الله سبحانه وتعالى متصف بصفة البصر، وصفة السمع، وصفة الكلام، وبصره ليس كبصرنا، وسمعه ليس كسمعنا، وكلامه ليس ككلامنا. فبصره تعالى قديم متعلق بذاته تعالى، أما بصرنا وسمعنا فهو حادث، ويفتقر إلى آلة، وإلى شروط، حتى نسمع ونبصر ونتكلم.

أما كلام الله وسمع الله وبصر الله سبحانه وتعالى فلا يشبهه سمع وكلام وبصر الحوادث. ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. فكما أن ذواتنا لا تشبه ذات الله تعالى، فكذلك كلامنا لا يشبه كلام الله، وكذلك سمع الله، وكذلك بصر الله سبحانه وتعالى.

فهذه الألفاظ يعني تثبتتها، وهذه الصفات تثبتتها لله عز وجل، وننفي عن الله تبارك وتعالى مشابهة الحوادث، وكذلك ننفي عنه لوازم تلك المحدثات من الجارحة والعضو والآلة وغيرها من الصفات الحوادث. لذلك قال رحمه الله: وليس بصره تعالى وسمعه كبصرنا وسمعنا.

اقرأ: وليس بصره تعالى، وسمعه كبصرنا وسمعنا نحن. بصرنا بهذه الحاسة، وهي العين، وسمعنا بهذه الحاسة، وهي الأذن، يعني بهذه الآلة. وسمع الله تعالى بدون آلة وبدون حاسة. نعم، لأن بصره وسمعه ليس بواسطة.

وبصرنا بواسطة العين، وسمعنا بواسطة الأذن. الله تعالى خلق فينا العين، وهي الآلة التي نبصر بها، وخلق لنا الأذن، وهي الآلة التي نسمع بها عادة. نعم، ولكن الله تعالى يسمع ويرى بدون هذه الوسائط، لأن الوسائط فينا هذه يعني آلات عادة لكي ندرك بها المسموعات والمبصرات.

نعم، ونتكلم بهذا اللسان، وإلا فالله تعالى منزّه عن مشابهة الحوادث. ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير جل وعلا.

ثم ذكر الدليل على وجوب البصر والسمع، وقدم الدليل النقلي والسمع على الدليل العقلي، لأن هذه الصفات تثبت بالنقل والسمع ابتداءً. بخلاف الصفات الأخرى، كالحياة والإرادة والقدرة، فهي تثبت بالعقل وكذلك بالسمع.

فقال: والدليل على وجوب البصر والسمع له تعالى قوله جل وعز: "وهو السميع البصير". والسميع من قام به السمع، والبصير من قام به البصر. كذلك قال: أسمع وأرى. فالله تعالى أثبت أنه يسمع ويرى، وهذا للفعل مأخوذ من السمع، بمعنى أن الله تعالى قام به السمع، وقام به البصر سبحانه وتعالى.

وقوله سبحانه: "إنني معكما أسمع وأرى". هذا هو الدليل النقلي والسمع، وهو المفيد في إثبات هذا المعتقد، ولا بأس أن نستدل على ذلك بالدليل العقلي أيضاً، فقال: وأيضاً لو لم يتصف بهما لزم أن يتصف بضديهما. ضد السمع: البكم، وضد البصر: العمى. وحاشى الله عز وجل أن يتصف بهما، لأن الله منزّه عن البكم، وعن العمى.

سبحان الله عما يصفون، وذلك نقص، والنقص عليه تعالى مستحيل. هذا والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين.